المسكين فخر على الارض صريعاً . فضربه الصبي بعصاه الا ان الجندي فتح ذراعيه للصبي وضمه الى صدره وقبل وجنتيه قائلا : (ان أمة هذه وطنية أبنائها يستحيل ان يستعبد رجالها)

هذه كلمة تمثل التفاني في سبيل الحرية . تلك الكلمة الفريدة تلك الكلمة العذبة التي من أجلها يعتقل الزعماء . ومن أجلها أيضاً ينفون ويموتون .

تلك الكلمة التي من أجلها يضحي الناس بكل غال عندهم وثمين . فلله ما أجمل الحرية وألذ عيشتها . . . .

ان حياة لاحرية فيها . الموت خير منها . . . . . ل

رواية هذا العدد

المتهم البريء

ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف (متى ص ١٠ ع ٢٦)

عاش في مدينة فلادمير في روسيا تاجر فتى يدعى ايفان دميتريتش اكسينوف له من الثروة محلان تجاريان ومسكن يقطن فيه مع عائلته

وكان ايفان شاباً جميل الطلعة ذا شعر اشقر يطفح وجهه بشراً وله ولع شديد بالغناء . وقد ادمن مذ كان عازباً شرب المسكر والسير في طرق اللهو لكنه بعد ما تزوج أقلع عن هذا كله

جاء الصيف فعزم على أن يسافر إلى احدى المدن ليقضي فيها بعض اشغال تجارية له ولما ودع عائلته اوقفته امرأته وقالت له : يا ايفان ارجو منك ان لا تسافر في هذا النهار فقد رأيت في هذه الليلة حلماً مزعجا تشاءمت منه عليك فضحك ايفان وقال وهل تخشين اذا ذهبت لاشغالي ان اغشى محال اللهو والمسكر ؟

فقالت امرأته : اني أشعر بقلق عظيم يا ايفان ولا أدري ما سببه وتراني أوجس شراً مما رأيته فقد رأيتك وأنت راجع من الخارج لما نزعت قبعتك عن رأسك واذا شعرك ابيض كالثلج . فضحك ايفان وقال انه مآل حسن ان شاء الله . ثم ودعها وودع صغاره وسافر

ولما بلغ نصف الطريق التقى تاجراً يعرفه من قبل فترافقا حتى وصلا الى فندق وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب فنزلا فيه وباتا تلك الليلة وبعد أن جلسا وتناولا الشاي معاً ذهب كل واحد منهما الى سريره لينام وكانت غرفة الواحد مجاورة لغرفة الآخر

لم يعتد ايفان أن ينضحي في نومه ولا سيما اذا كان على سفر ففي تلك الليلة نهض مبكراً قبل طلوع الفجر وأيقظ سائقه وأمره أن يعد الخيل ويحضر المركبة ليسير والطقس بارد

وجعل طريقه حين مروره من أمام مضجع صاحب الفندق فنقده الاجر وسار في طريقه .

وبعد أن قطع مسافة خمسة وعشرين ميلا توقف عن السير لاطعام الخيل فعرج على محل مجاور وأمر بأن يهيأ له الشاي واذ كان الطقس جميلا ونفسه مطمئنة تناول قيثارته التي كان مولعاً بها وأخذ يعزف عليها

ولاحت منه التفاتة على حين فجأة فرأى عن بعد مركبة يجرها ثلاثة من الجياد تنهب الارض نهباً وما لبثت ان وصلت اليه فخرج منها رجل بعزة رسمية ووراءه جنديان .

تقدم ذلك الرجل الى ايفان وابتدره بالسؤال قائلا : من أنت ؟ ومن أين اتيت ؟

فأجابه بربابة جاش : الا تريد أن تتناول معي كأساً من الشاي فقاطع الرجل كلامه وقال : اين صرفت ليلتك امس ؟

وهل كنت وحدك أم معك رجل آخر ؟ هل رأيت التاجر رفيقك في هذا الصباح ؟ ولماذا تركت الفندق قبل الفجر ؟

فتعجب ايفان لكثرة هذه الاسئلة ولكنه اجاب عليها كلها كما اتفق له ثم اردف كلامه قائلا ولماذا قطعت علي كلامي وهل تحسبني لصاً أو قاطع طريق ؟ اني تاجر وسائر لقضاء اشغالي الخصوصية ولا أرى داعياً الى القاء كل هذه الاسئلة علي

أما الرجل فلم يكن منه الا ان استدعى الجنديين وقال : اخبرك الآن بأني ضابط بوليس هذه المقاطعة وقد سألتك هذا لان التاجر الذي صرفت معه الليلة البارحة وجد مقتولا بطعنة خنجر وهذا يقتضي علي أن أفتش جميع امتعتك. وهجم حالا مع الجنديين على الامتعة وفتشوها واذا الخنجر بينها فأخرجه وصرخ لمن هذا ؟

فحملق ايفون عينيه ثم اغمي عليه لما رأى خنجرا ملطخاً بالدم أخذ من امتعته

— كيف اصاب الدم هذا الخنجر ؟

حاول ايفان أن يجيب ولكنه لم يستطع الا النطق ببعض كلمات قالها متمتما انا ؟ — لا اعرف . هذا ليس لي

ثم قال الضابط : لقد وجد التاجر في هذا الصباح في فراشه مخزوز العنق وأنت هو الشخص الوحيد الذي ارتكب هذه الجريمة فالباب كان موصداً من الداخل ولم يكن أحد سواك معه وهو ذا الخنجر الملطخ بالدم وجدناه بين امتعتك وملامح وجهك تؤيد ثبوت الشبهة عليك . فهل تنكر بعد كل هذا ؟ قل لي كيف قتلته وكم سلبته من الدراهم ؟

فاقسم حين ذاك ايفان يميناً مغلظة بانه لم يفعل هذا وانه لم ير التاجر بعد ما شرب واياه الشاي ليلة امس . وانه ليس معه الا ثمانية روبل وهي دراهمه الخاصة وان الخنجر ليس خنجره

كان يتكلم وصوته يتهدج ووجهه مكفهر وجسمه يرتعش من الخوف كأنه المجرم عينه

فأمر الضابط الجنديين أن يقبضا عليه ويوثقاه ويشداه الى المركبة وبينما كان الجنديان يشدان رجليه كان المسكين يطلب الرحمة ويبكي . أما دراهمه وأمتعته فأخذت منه وسيق الى أقرب مركز حيث وقف هناك إلى أن يحاكم

جاء يوم المحاكمة وقد دعي كثير من التجار وافراد من اهالي بلدته وسلطوا فشهدوا ان ايفان كان في أيام البطالة يتعاطى السكر قتلاً للوقت لكنه رجل حسن السيرة مستقيم

غير أن المحكمة حكمت بأن ايفان هو قاتل أحد التجار من مدينة وبازان بعد أن سلبه نحو الفي روبل كانت معه

بلغ الخبر مسامع امرأته فوقعت في يأس عظيم ولم تدر كيف تصدق ما تسمعه . ولم يكن منها الا أن حملت أولادها ورضيعها واخذتهم الى المدينة حيث كان زوجها مسجوناً

ولم يسمح لها في بادىء الامر برؤيته ولكن بعد توسلات شديدة تمكنت من ذلك وحالما وقع نظرها على زوجها وهو بثياب السجن ومكبل بالقيود ومحشور مع اللصوص والجناة سقطت على الارض مغشياً عليها ولم تفتقه الا بعد وقت طويل فلما رجع اليها صوابها اجتذبت اولادها اليها وجلست الى جانب زوجها وأخذت تحدثه بقلب منكسر عن بعض اشياء بيتية ثم سألته عما جرى له فقص عليها كل ما حدث له على علاته فقالت وماذا نقدر أن نعمل الآن ؟

— يجب علينا أن نرفع دعوانا للقيصر لكي لا يترك الابرياء يهلكون . فأجابته انها كانت قد رفعت دعواها الى القيصر ولكنها رفضت وردت فلم يئبس بنت شفة بل اطرق رأسه

فقالت امرأته : لقد صح ما رأيته في ذلك الحلم المزعج . اتذكر ما قلته لك ؟ انك لم تسمع نصيحتي ولم تعدل عن السفر ثم رفعت يدها وأمرت أناملها على شعره وقالت : ناشدتك الله أيها العزيز قل لي الحق ولا تخف علي ألم ترتكب تلك الجريمة فاجابها وانت أيضاً تصدقين وخبأ وجهه بين يديه وأخذ يبكي . وفي

هذا الحين تقدم جندي وأمر الامرأة أن تخرج مع أولادها فودع ايفان عائلته الوداع الاخير

وأخذ يعيد كل ماقاله أمامها وتذكر بأنها هي أيضاً مصدقة عنه ما نسب اليه فقال يظهر لي أن الله وحده يعرف الحقيقة فاليه وحده يجب أن اشكو ظلمي ومنه وحده أطلب الراحة . وارجو الخلاص من هذه المصيبة

ثم بعد ايفان بهم بدعواه والقى عنه كل أمل والتجأ الى الله يصلي ويبتهل

لقد حكم عليه بالاشغال الشاقة فكبل بالحديد الذي أدمى جسمه في أول الامر وسبق مع جملة من المجرمين الجناة الى سيبيريا .

قضى ايفان ستاً وعشرين سنة منفياً فابيض شعره وطالت لحيته وكثفت وابيضت فذهب كل نشاطه وهرم جسمه فتباطأت خطواته وقل كلامه ولم تعل فمه ابتسامة قط بل كان يقضي معظم أوقاته بالصلاة .

تعلم وهو في السجن صنع الاحذية فجمع مبلغاً من الدراهم اشترى به كتاب « سيرة القديسين »

قرأ هذا الكتاب حين كان يحصل على النور الكافي في غرفته . وفي أيام الاحاد كان يتوجه الى كنيسة السجن حيث يقف مع جماعة المرتلين لانه كان رخيم الصوت فاستمال ايفان بنقواه موظفي السجن والمسجونين فدعوه أباهم وقديسهم واقاموه وكيلاً عنهم حين كانوا يريدون أن يخاطبوا مدير السجن بامر ما واذا وقعت مشاجرة فيما بينهم يلتجئون اليه ليفضها .

مرت كل هذه السنين الكثيرة دون أن تصل الى ايفان اخبار عن امرأته وأولاده وهل لا يزالون على قيد الحياة ؟

وفي احد الايام جيء الى السجن بزمرة جديدة من المنفيين فاجتمع المسجونون حولهم في الماء وأخذوا يسألونهم عن بلادهم ومن أين هم آتون وما سبب نفيهم . أما ايفان فكان جالساً قريباً منهم مصغياً لما يقولونه دون أن يفوه بكلمة وكان بين هذه الزمرة الجديدة رجل طويل القامة قوي البنية يبلغ الستين من العمر

ذو لحية طويلة بيضاء قص على سامعيه سبب نفيه فقال : أيها الاصدقاء اني لم أعمل ما يسمى جرماً وكل ما عملت هو اني حللت حصاناً كان مشدوداً الى مركبة وركبته لاصل سريعاً الى بيتي فتعقبني الجنود وقبضوا علي واتهموني بالسرقة فوضحت لهم اني كنت عازماً على أن اترك الحصان وشأنه حين أصل الى بيتي ولا سيما ان سائق المركبة هو صديق لي .

أما القاضي فلم يعبأ بكلامي بل حكم علي باني سارق دون أن يفهمني سبب الحكم .

لقد ارتكبت فيما مضى ايها الاخوة جرماً حقيقة وكان ينبغي منذ ذلك الوقت ان أنفى الى هنا بعدل وأما في هذه المرة فقد قبضوا علي وساقوني الى هذا السجن لغير ما ذنب يذكر والشيء الذي لا اريد أن اخفيه عنكم الان هو اني قد حضرت الى هنا غير مرة ولكن لم أقم طويلاً . . .

فسأله واحد ومن أين أنت ؟

— اني من مدينة فلادمير واسمي مكار ويدعونني ايضاً سميونتش فرفع ايفان رأسه وسأله هل تعرف يا سميونتش شيئاً عن عائلة التاجر ايفان الذي من تلك المدينة وهل هي باقية حية الى الآن ؟

— اني اعرف تلك العائلة معرفة تامة فهي غنية وان يكن رجلها سيق الى سيبيريا ويظهر أن ذلك الوالد هو مجرم مثلنا ومثلك . وانت كيف وصلت الى هنا ؟

لم يشأ ايفان أن يتكلم عن حادثته بل تنهد وقال لذنب ما نفيت الى هنا وقد مضت علي ست وعشرون سنة في هذا المنفى

— وما هو ذنبك ؟

لم يجبه ايفان بل استطرد الكلام وقال : لا شك في اني كنت مستحقاً هذا وصمت . فقص رفقاؤه على سميونتش سبب نجيء ايفان الى سيبيريا وكيف أن

واحداً قتل تاجراً ووضع الخنجر بين أمتعته خفية فاتهم هذا به وحكم عليه وهو بريء .

فلما سمع مكلر سميونتش هذه القصة تقرس في ايفان وقال : يالله . . . حقاً انه لامر عجيب . .. ولكن سرعان ما شخت ياهذا .

فبهت الحاضرون وسألوا سميونتش وهل رأيت ايفان قبل الآن فلم يجبهم بل قال انه لامر غريب . . . كيف أن الظروف عادت فجمعتنا هنا ثانية

فذكرت هذه الكلمات ايفان بان مكلر يعرف شيئاً عن قاتل التاجر فسأله : هل سمعت شيئاً عن هذا الحادث أو هل رأيتني قبل الان ؟

— نعم اني سمعت ولكن ذلك من أمد بعيد وعبثاً اجهد ذاكرتي لانني لا استطيع أن اتذكر شيئاً .

— وربما تكون قد سمعت من هو القاتل ؟

فضحك مكلر وقال : لا شك في أن القاتل هو الذي وجد معه الخنجر . وهل يستطيع أحد أن يضع خنجراً بين أمتعتك وهي تحت رأسك اذن لكنت تنبهت له وافسدت عليه عمله الاثيم

فلما سمع ايفان هذه الكلمات شعر بان هذا الرجل هو القاتل بعينه ولم يعد يستطيع الجلوس فنهض من مكانه وخرج للحال .

لم تغمض عينا ايفان تلك الليلة اذ ارتسم لديه مصابه واخذت تمر في مخيلته صور شتى عن ماضيه . فتمثلت له امرأته حين تقدم ليودعها وقت خروجه من البيت وتمثل شخصها أمامه فرأى وجهها وعينيها وسمع صوتها وضحكها ثم رأى أولاده الصغار واحداً بجسمه الصغير وآخر رضيعاً على ذراعي أمه . ثم تذكر كيف ضرب على قيثارته في الفندق وكيف وقف للمحاكمة . وكيف كان حزيناً في مركبته وكيف شد اليها بعد ذلك وكبل بالحديد . وتذكر القاضي والجمهور الذي أحاط به وقت المحاكمة . والسلاسل . والمنفى والست والعشرين سنة واخيراً شيخوخته التي وافته سابقة اوانها . وما انتهى بافكاره الى هنا حتى كان في أقصى حالات القنوط

واليأس . وسولت له نفسه أن ينتحر حالاً ويتخلص من هذه الحياة المؤلمة

وتأمل قليلا فرأى ان كل هذه الويلات التي صبت عليه كانت من جراء هذا الشقي فغلت مراجل الحقد في صدره على مكرر سميونتش وعقد النية على أن ينتقم منه شر انتقام ولو أدى ذلك الى خسارة نفسه ايضا

في تلك الليلة صلى كثيراً ولكنه لم يقدر ان يوجد في قلبه مقدار ذرة من الشفقة فيصفح عن عدوه .

انقضى الليل وطلع النهار لم يقترب من مكرر سميونتش ولم يلتفت اليه .

ومضت أربع ليال على هذه الحال لم يذق فيها جفنه طعم الكرى وبلغت منه التعاسة درجة تعذر عليه معها ادراك تصرفاته وافعاله لشدة اضطرابه وثوران عواطفه وآلام نفسه

ولاحظ في أحدى الليالي وهو قلق يجول حول غرفة السجن ان الارض تتحرك قرب لوحة كان ينام عليها المسجونون فوقف ليرى ما معنى هذا . أطال مكرر سميونتش رأسه فجأة من كوة في الارض وزحف من تحت الخشبة ونظر الى ايفان بحالة ذعر شديد . وحاول ايفان أن يمر من غير ان ينظر اليه لكن مكرر قبض على يده وقال له يا ايفان اني قد نقبت هذا النفق تحت الجدار وكنت اضع ما احفره من التراب في حذائي البالي وافرغه على الطريق كل يوم حين اذهب مع المسجونين للشغل . اما الان فيجب ان تخفي هذا الامر عن الكل لانك لا تستطيع أن تخلص نفسك انت أيضا واعلم انك اذا ابديت اقل حركة فانك قاتلي لا محالة

سمع ايفان هذا فارتجف جسمه من شدة الغضب ولا سيما حين وقع نظره على عدوه فسحب يده منه قائلا اني لا اريد ان اهرب ولا حاجة لك أن تقتلني فقد قتلتني من أمد بعيد .

وفي اليوم التالي سار المسجونون على عادتهم كل يوم للشغل ولاحظ الجندي الذي كان يخفرهم ان واحداً منهم افرغ تراباً من حذائه فادرك سر الامر حالا

واسرع الى السجن ففتشه واكتشف النفق وابلغ الحاكم الخبر فهرول الى السجن وسأل السجونين فرداً فرداً ليتحقق من هو الفاعل . فانكر الجميع . واما من عرف منهم الحقيقة فلم يبح بها لانهم يعلمون ان اقل جزاء له هو الموت . لاخبراً نحول الحاكم الى ايفان وقال : ايها الشيخ انك رجل صادق مستقيم . فاخبرني امام الله من حفر السرداب

اما مكار سميونتش فكان واقفاً ينظر تارة الى الحاكم واخرى الى ايفان

اخذت شفتا ايفان ترتجفان وبداء ترتعشان واستمر هنيهة صامتاً وفكر في نفسه قائلا : علام السكوت ولم الرحمة ؟ أأرحم ذاك الذي نغص حياتي فليلق جزاء ما قاسيت بسببه من الآلام .... ولكن اذا انا اعترفت بفعلته فهل يلقى غير الموت .... واي خير أجنيه من ذلك لنفسي ....

فاعاد الحاكم سؤاله عليه وقال ايها الشيخ أجب . اخبرني الحقيقة فرفع ايفان وجهه وقال انا لا اقدر ان أقول يا سعادة الحاكم . وليست مشيئة الله في أن أقول فاعمل معي ما تشاء وها انا بين يديك

عبثاً حاول الحاكم الوقوف على الحقيقة من ايفان لان هذا بقي مصراً على عدم التكلم فاضطر أن يضرب صفحاً عن هذه القضية .

في تلك الليلة بينما كان ايفان مضطجعاً على فراشه وقد اخذ الكرى بمعاقد اجفانه بعد ذلك الارق الطويل شعر بشخص يقترب منه في وسط الظلمة فعرفه حالا انه مكار . فسأله ماذا تريد مني ايها الرجل ولماذا حضرت الي في مثل هذا الوقت فلم يجب مكار فجلس ايفان في فراشه وقال ماذا تريد باهذا ؟ ابتعد عني أو ادعو لك الحارس الآن

اما مكار فلم يكن منه الا ان انحنى وتمتم قائلا : ايفان ديمتريتش ! اعف عني !

ايفان — وعلام اعفو عنك ؟

مكار — اني ... انا ... القاتل .. انا الذي دسست الخنجر بين امتعتك وقد كنت عازماً ان اقتلك أيضاً . ولكن حال دون ذلك صوت سمعته في الخارج

اضطررت لاجله ان ادس الخنجر بين اضلعك واهرب من النافذة على عجل .

صمت ايفان ولم يدر ماذا يقول

ابتعد مكار عن سرير ايفان وركع على الارض وقال : ايفان دميتريتش : ارجو منك ان تغفر لي اتوسل اليك ان تغفر لي اكراماً لله . اني عازم على ان اعترف بجريمتي هذه امام المحاكم لتبرأ وترجع الى بيتك .

فقال ايفان : نعم انه ليسهل عليك الكلام الان ولا تدري بأني ثلثت بسببك مدة ستة وعشرين عاماً فالى اين اذهب الآن ؟ لقد انتهت حياتي ونسيتي اولادي ولم يعد لي ملجأ التجيء اليه .

لم يرفع مكار سميونتش رأسه بل ضرب به الارض وصرخ : ايفان دميتريتش : المغفرة ! المغفرة ! قد كبلوني بالحديد وعذبوني شديداً فلم احتمل من الآلام مقدار ما احتملته الان امامك لقد كنت قادراً ان تميتني بكلمة واحدة تخرج من فمك للمحاكم ولكنك شفقت علي . فاكراماً لرب السماء سامحني ؛ اني تعس . . انني شقي . . . اشفق علي . . ارث لحالتي . . . ارحمني . واجهش بالبكاء .

لم يستطع ايفان ان يملك نفسه عن التأثر وعينيه عن الدموع التي أخذت تتساقط من عينيه بغزارة وبكى لبكائه ثم قال ، ليسامحك الرب ربما اكون اكثر آثاماً منك بمرات ولما لفظ هذه الكلمات استنار قلبه وتسامت نفسه عن كل شر وسامحه .

وفي اليوم التالي تقدم مكار سميونتش الى المحاكم واعترف بجريمته هذه القديمة وتمكن من تبرئة ايفان واحيلت هذه القضية الى مراجعها العليا فما هي الا ايام معدودة حتى جاء الامر باطلاق سراح ايفان من سجنه

ولا تسل عن السرور الذي حل بقلب ايفان حين بلغه الخبر فتصور للحال رجوعه الى بيته ورؤيته امرأته واولاده بعد هذا الغياب الطويل فاخذ ينتظر ساعة اللقاء بالدقائق وكانت الحكومة قد وهبته جواز السفر فودع رفقاءه الذين سروا

سروراً عظيما لبراءته وركب القطار وسار في سبول روسيا الشاسعة وهو يتمنى لو كانت له اجنحة النسر يحلق بها في الجو ويصل الى أعز الناس اليه ليرى امرأته على قيد الحياة ويبرهن لها ان زوجها هو ذاك الرجل الشريف الفاضل الذي لم يدنس شرفه بجريمة . وان ما اصابه كان بقضاء من الله وبسماح منه .

ووصل ايفان الى بيته ورأى امرأته واولاده ولا حاجة الى وصف ذلك اللقاء المبهج والحزن في آن واحد

ويكفي ان نقول ان روح ذلك البيت عادت اليه وان السعادة اصبحت ترفرف بأجنحتها فوقه

وقضى ايفان مع عائلته ما بقي من أيامه في اهنأ عيش وانعم بال وهو لا يمل من سرد الحوادث العديدة التي اصابته على امرأته واولاده وهكذا عاد الى هذه العائلة هناؤها ورد اليها ربها وكان عوده فوزاً للحق على الباطل . اذ لا بد من ظهور براءة المتهم ولو بعد حين . ورد الى صدر الظالم سهمه الذي رمى به البريء وقد صدق السيد المسيح بقوله : ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف

(بيت لحم) جريس الحاج

رياضة وأدب

(سؤال)

ما هو الفرق بين الطامي واللص وحبة الغلال والسياسة

والاخاء يقدم اعداده لمدة ستة أشهر لمن يصيب في الاجابة

قال بعض الشعراء في ظلم الدنيا

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل وتأخير ذي لب فأبدت لي العذرا